تجليات الاغتراب في شخصية بطل رواية الدروب الشاقة لمولود فرعون

الدكتور : جبارة إسماعيل
قسم اللغة و الأدب العربي
جامعة أكلي محند ألحاج – البويرة - الجزائر

الملخص :

حاولت من خلال هذه المقالة الموسومة تجليات الاغتراب في شخصية بطل رواية الدروب الشاقة لمولود فرعون، أن أبرز الجوانب الثلاثة لظاهرة الاغتراب الذي عاشته شخصية البطل أعمر نعمر، حيث كشفت عنصر الاغتراب الذاتي عند البطل والكيفية التي أثر فيه على نفسيته ، ثم انتقلت إلى العنصر الثاني الذي أبرزت فيه اغتراب البطل عن الآخرين من خلال علاقته بافراد مجتمعه ، ذلك برفضه لنواميسه وقوانينه . أما الوجه الثالث لاغتراب البطل ، فيظهر من خلال علاقته بوطنه الذي صار يمثل له الجحيم، وظل ساخطا على وطنه.

الكلمات المفتاحية : الاغتراب ، بطل ، الشخصية ، الرواية ، الاغتراب الذاتي ، الاغتراب عن الآخر ، الاغتراب عن الوطن .

Abstract :

through this article I tried tagged manifestations of alienation in novel hero Personality **HARD TRACKS** To its owner Mouloud Feraoun , that the most prominent three aspects of this alienation, which campaign the personality of the hero Amor Namor, Where I revealed the hero self-alienation element and how they effect on his psyche, and then I moved to the second component, which highlighted the alienation of the hero in relation to other members of the society, who refused its laws and poured his wrath upon. the hero also suffered of alienation from his homeland and his village, which became representing him hell and wished more than once that the fates kept him out of his homeland and his village.

Keywords: alienation, hero, personality, the novel, self-alienation, alienation from the other, alienation from the homeland.

مقدمة :

إنّ الاغتراب ظاهرة إنسانية ما لبثت تتفاقم ،ويتعاظم أثرها كلما ازدادت حدة ضغط ما تخلفه الحضارة المادية على النفس البشرية ،على أن هذه الظاهرة ليست جديدة كلية، وإنما هي ظاهرة عرفت في مختلف المجتمعات وعبر مختلف الأزمان .

ويتجسد مفهوم الاغتراب بمظاهر العزلة الناتجة عن إحساس الفرد بأن الآخرين لا يواكبونه فكريا ، وعما يسود المجتمع من ثقافات مشوهة وتضليل سياسي، و تضارب في الآراء و الأفكار ، والموضوعية الناتجة عن وعي الفرد بوجود الآخرين كشيء مستقل عن نفسه ، وقد انعكست هذه الظاهرة على الأدب ،فغدا الاغتراب موضوعا بارزا فيه شأنه شأن مختلف أوجه النشاط الإنساني . فيعمل الأديب عن نقل رؤيته ،وأثر التحولات المحيطة به في بنيته النفسية و الفكرية. وفي قراءتنا لرواية الدروب الشاقة لمولود فرعون تتجلى لنا صور الاغتراب عند شخصية البطل بوجوه متعددة ،وذلك من خلال أشكال الثلاثة للاغتراب :

1- الاغتراب الذاتي عند البطل :

إنّ الظروف التي عايشها بطل رواية الدروب الشاقة خلال فترة الخمسينات من القرن العشرين في إحدى قرى بلاد القبائل، (قرية إغيل نزمان، بتيزي وزو) ،هي التي أرغمته على أن ينسحب بآماله ، ويؤثر الموقف السلبي الذي تحكمه نظرته الأحادية لذاته ، وإحساسه بالظلم الواقع عليه، وقد عبّر عن ذلك أحسن تعبير،من خلال مناجاته لنفسه،« أودّ أن أبدأ من البداية، و أتحدث بهدوء عن كلّ الأمور التي تخصّني ،و أن أكون موضوعيا في ذلك ،أريد أن أشرح لماذا أرفض هذا الوجود في الحياة ،ولماذا أرفض كلّ ما فيها منذ البارحة ،إلا أنني الآن أحس بغليان في رأسي

وبفقاعات الغليان تتولد، وتنفجر دون توقف . وكل فقاعة من تلك الفقاعات، هي في الحقيقة فكرة من الأفكار التي أحاول عبثا الإمساك بها قبل أن تنفلت من ذهني، وتختلط الأفكار في رأسي حتى يكاد ينفجر ،فيضطرب بصري، فأصبح عاجزا عن التفكير في الكتابة » . [1]

وظل (البطل) يعاني من التشويش ،و الفوضى، والاضطراب، الشيء الذي أثر على نفسيته وأصبح عاجزا عن التعبير ،« ولكن المشكلة أنه حينما أجدني أمام أوراقي تتلاشى الأفكار من ذهني و يضيع الأهمّ ،وأصبح عاجزا عن الكتابة بسبب الغضب الذي ينتابني ، وعندما أقدم على التعبير عنه لا يأتيني الإلهام فأصبح عاجزا على فعل أي شيء[2] » .

ويتخذ الملل في نفسية البطل أبعادا مختلفة ، فيحوله إلى شخص رافض لسنن الحياة ،وساخطا على حالته الاجتماعية ، فيرفض فكرة الزواج، لما لها – في اعتقاده – من تقييد لحريته ،وخوفا على مستقبل ابنه إذا ما قبل بفكرة الزواج و الاستقرار في قريته ،«يا لها من مفخرة أن أعيش مثلما عاشت أمي في إغيل نزمان، وأن أنجب طفلا، وأربيه مثلما ربتني ... يا للنّصر الكبير ! لا إنّها حماقة لا تغتفر . ما أثقل رأسي من شدة النعاس ،أنا متيقن الآن أنني صرت أهذي كمن فقد صوابه ». [3]

ليتحول– البطل – بفعل التمزق، والضياع، والفراغ النفسي إلى شخص يهذي كالمجنون، دون أن يدري ما يقول ، « ها أنا ذا أنفعل مرة أخرى ، وينقلب مزاجي و أرفع صوتي بصورة لن أتعود عليه ، ربما لأنني لاحظت أن الليل بدأ يرخي سدوله، وشعرت بأن الصقيع بدأ يعم أرجاء القرية في تلك الليلة الحالكة و الهادئة . إنّ هذا الصمت الرهيب يحيط بي من كل جهة، وإني لأتخيّل أنني وحيدا في هذا العالم المتجمد...ووحيدا أفكر في

كل الأمور ، وفي مصيري إخواني ،لأنني أشعر بغضب لا أفهم مصدره ينزل علي من السقف...لماذا أتدخل في كل هذه الأمور التي لا تعنيني [4] » .

ولم يجد البطل من مؤنس في وحدته ، غير اللجوء إلى كأس الخمر الذي يُنسيه هموم الوجود ، « أنا أرفض كل شيء عدا هذه القارورة الصغيرة من الأنسيات التي سأشربها حتى السكر، و عدا هذا الأنبوب من دواء الجردنال التي سأذيبها قبل أن أسكر ...[5] » ،وبالتالي يغيب الوعي عنه (البطل) ، وينسى ضربات الزمان ، إلا أن هذه الحالة لا تدوم طويلا ، فتعود به الحال إلى وضعه الأول، ويستيقظ شعوره ، فيشرع في تجليد ذاته، « أنا حقا لم أفقد الأمل ، لم أعد أحس بشيء. الأمر غريب حقا لم أعد أحس بالرغبة، و لا بالغضب و لا بالحقد . يبدو وأن روحي قد انفصلت عني ، وأنها منتصبة ها هنا أمامي لتملي علي بعض التخمينات الخائبة التي ستدونها يدي ...في الحقيقة لا جدوى من التفكير الآن في أي شيء ، الأفضل أن ألتزم الصمت » [6].

ولاشك أن هذا التجاهل ، يجعله يشعر باغترابه عن حياة الجماعة بكل مقولاته الحيوية والأخلاقية ،وإذ ذاك يشعر المغترب بخلو قالبه الإنساني من محتواه ، وبضآلة موقعه الاجتماعي ، وبتفاهة وجوده ، وقلة فاعليته في المجتمع . ومما يزيد من اغترابه هو ملاحظته أفرادا وجماعات تشغل في مناصب قيادية لخدمة أهداف فرنسا الاستعمارية ، « ... وأن الحاكم لازال يتصرّف في من كان يتسلم مناصب الحكم ،كما يشاء وكان محاطا كالعادة بالعملاء و الجواسيس » [7].

وقد أدى هذا القهر الإرادي إلى اغتراب شخصية البطل ، لأنه فقد عنصر الزمن ، كما فقد العلاقات الإنسانية الصحيحة ، و تسبب هذا الفقدان في تشيء العلاقات الإنسانية.« فالاغتراب الذاتي مواجهة مستمرة، و حرب

حامية الوطيس بين بطل حاقد غاضب ملوّع بخطيئة ما أو بهزيمة ما ، وبين ذاته الضعيفة المندحرة الملوَثة المدنَّسة ، وذلك البطل يدخل مع ذاته في حوارات باطنية تشي بالانقسام و التشتت فيه ، فلا يسعى إلى محو هذا الاختلاف و الاتحاد بذاته ، بل إلى تعميق الهوّة بينه وبين نفسه ».[8]

ولم تسعف البطل ثقافته ، ووعيه بتجاربه في الحياة ، ولا كذلك تفاعله بمقومات الحضارة لتفادي مثبطات المجتمع ،فبمجرد عودته من فرنسا يعتقد أنه سرعان ما يندمج مع أبناء قريته ، غير أنها لا تمر على عودته إلى القرية إلا أيام معدودة ،فيعود إليه الملل والضجر،«ما كاد الأسبوع الأول ينقضي حتى سئمت من إغيل نزمان ومن أصدقائي ومن نفسي أيضا » [9] .

وهكذا فظاهرة الاغتراب تعد جزءًا من نسيج الحياة الثقافية والاجتماعية العربية ، تنعكس أبعادها في كل مناحي الوجود الاجتماعي والثقافي، « وهي تأتي نتاجًا لإكراهات شتى تتمثل في القمع التاريخي والسياسي والأخلاقي والتربوي والاقتصادي، والاغتراب ليس نتيجة وحسب ، بل هو نتيجة وسبب في آن واحد ، ذلك لأن ممارسة القمع والإرهاب ظاهرة اغترابية في حد ذاتها، وعلى هذه الصورة يكمن الاغتراب في أصل العنف، ويكمن العنف في أصل الاغتراب، وتتداخل الظاهرتان في كينونة واحدة يتعانق فيها السبب بالنتيجة، والشكل بالمضمون » [10].

إنّ الانفصال عن الذات و الواقع، و شعور الإنسان باختلافه عن الآخرين، و افتقاد الإحساس بالعلاقة بينهما، ومن ثم انعدام الشعور بالقدرة على تغيير الواقع، و افتقاده القدرة على اكتشاف القيمة في الحياة ، كل ذلك قد يخلق حالة من اغتراب الذات عن الخارج، وهذا اللون من الاغتراب ليس إلا درجة متأخرة في سلم الحالات الاغترابية التي تصيب الإنسان. « والتفرد هو أبرز ما يميز الكائن البشري ، بل يمكن أن نعرف الإنسان بأنه الحيوان

الذي يستطيع القول " أنا "، والذي يكون مدركا لنفسه كوحدة مستقلة ومتميزة عن الآخرين ...ويقتضي التفرد التحرر الكامل ،لأن التفرد معناه أن الإنسان هو مركز الحياة وغرضها وأن حرية واستقلال الذات غاية لا يجب أن تخضع لأي غرض آخر » [11].

فالبطل (أعمر نعمر) يُجسد حالة من أحوال الاغتراب والغياب، فهو ليس شخصا فردا ، ولكنه حالة جزائرية أخرى نجمت عن الاغتراب المكاني الذي خلقه عنصر الهجرة عن الوطن ، فراحت تسعى نحو بديل أفضل – ماديا – بعد أن خاب أمله ووجد نفسه عائدا إلى القرية، بعد أربع سنوات قضاها في ديار الغربة . ولقد تمثل شعور الاغتراب لدى البطل، الباحث عن الخلاص عن طريق الهجرة أو السفر ، بمظاهر الغياب التي يعيشها ، حتى لتصبح الطبيعة من حوله انعكاسا لما في داخل نفسه من وحشية واضطراب، والإحساس بالاغتراب مرده إلى الواقع الذي وقف أمامه عاجزا عن عمل شيء، حتى ولو كان تحديد مصيره الشخصي، فارتد إلى نفسه من دون وعيّ على حقيقة أنه في طريق التدمير يسير .

2- اغتراب البطل عن المجتمع :

إنّ ضغط المجتمع على البطل فكريا، واجتماعيا، واقتصاديا أجبره على تحدي قوانينه وقيمه وتقاليده . ولكنه لم يستطع الثبات أمام قوة سلطانه الذي يأخذه به، وقد أدى عجزه عن مواجهة قوانينه إلى سقوطه ، وإلى الشعور بالفراغ والتمزق و الضياع ، ثم إلى ممارسة الرذيلة ، وأحيانا إلى اقتناعه باستعلاء كاذب على المجتمع ،لأنه أخفق في التكيف مع تقاليده و قوانينه ، ويأتي هذا الاقتناع بالاستعلاء تعويضا عن عجزه ، وإخفاقه في مقاومة ضغوطه على أفكاره. ويؤكد هذا إشارته إلى وجوب انفصال الأخلاق عن القيّم الاجتماعية والنواميس الدينية.« ذلك أن من أهم الأسباب الفاعلة في

اغتراب البطل عن قيم مجتمعه ، وتقاليده ، وعن إنسان هذا المجتمع ، نظرته إلى الحياة و الوجود ، وإلى الإنسان الذي يفد إلى العالم دون أن تكون له حرية الاختيار في الوجود ، ودون أن تكون له حرية الاعتراض أو القدرة على التغيير » .[12]

وأول مظهر من مظاهر تمرد البطل على القوانين الاجتماعية هو جهره بكسر حرمة رمضان، كتحدّ للنواميس الاجتماعية ،« أتذكر أنني في وقت مضى رفضت القيام بفريضة الصوم ،كي يفهموا أنني لا أخشى أحدا منهم ، إلا أنهم لم يردوا على هذا التحدي » [13]. فأدرك حينها البطل أن مثل هذا السلوك يرضيهم ، فقرر مرة أخرى أن يتحداهم ويصوم مثلما يصوم الآخرون ،«وقلت لهم في قرارة نفسي: لا يمكنكم أن تمنعوني من الصيام . و في السنة الموالية صُمت كما يصوم غيري ، بل أحسن منهم ،لأنني كنت أصل إلى الجماعة خاوي البطن فارغ الذهن ناشف الريق[14] » .

وكان أهل القرية يسخرون من سلوكيات البطل بقولهم :« ولم يصم ابن كافرة مثله ! إنّ صيامه غير جائز ، و لا يجوز إلا على الأتقياء مثلنا » [15]. وهذا ما جعل البطل يعلن تمردا صارخا على أعراف مجتمعه، « ومنذئذ اتخذت موقفا واضحا فلم أعد أصوم أبدا ،وصرت كالشيطان مع أتباعي وكنا نسخر منهم ونستهزئ بصيامهم» [16]. ويدل هذا القول على اعتزال البطل لقيّم مجتمعه، مما تولد عنه إحساسه بالفراغ في نفسه، واقتناعه بلا جدوى مشاركته المجتمع حياته وقوانينه وعاداته ،« ذلك أنه في بعض الأحيان لا يتمكن الإنسان من الاستمرار في معايشة اغترابه في علاقاته بالمجتمع، و الدولة، و المؤسسات التي ينتمي إليها أو يعمل من ضمنها ويدرك انه لا يقوي على تغيير الواقع، أو الرضوخ له ولو ظاهرا، فيحاول

الانسحاب منه، أو الهرب باحثا عن فرصة أخرى للخلاص من الوضع الذي يعانيه » [17] .

كما هيّأ له الانحراف الخلقي ، وكشف له عن تهتك الشخصيات الاجتماعي وتحللها من قيّم المجتمع وتقاليده .« كان علي أن أتجاهل في البداية تقاليدنا ،و أعادي أهل قريتنا وأضرب عرض الحائط قيمنا الأخلاقية ،إلى أن أصبح كبيرا فأفهم كل تلك الأمور ...و أرتبط بشكل حيواني بهذه البقعة المنسية من الأرض ، وجاء اليوم الذي أدركت فيه متأخرا أنها الأرض التي لا يمكن أن يرتبط بها إنسان ».[18]

ويلاحظ أن التمزق حدث بفعل متغيرات كثيرة في الثقافة ،و الاجتماع ،و السياسة أدت إلى انسلاخ البطل عن مجتمعه بفكره وسلوكه. وقد نتج عن هذا الاغتراب سقوط البطل في حبائل الجنس، « أنا لا أحب ذهبية بل أشعر بالرغبة الجنسية تجاهها، ولذلك لا ينبغي علي أن أخوض معها قصة حب أبدية . ثم إنني لا أريد التقيّد بكل تلك السخافات » [19]. ويدل هذا على خضوع البطل لرغباته الجنسية في محاولة الهروب من الواقع الاجتماعي.

كما اتسمت نظرة البطل بالتعالي على الآخرين ، والتعالي يكون « بتصور القفز على هيئاتهم ومراكزهم الاجتماعية في مجتمعها ، لاعتقادها بأنها الأصل والواقع ،أما المجتمع فهو المسخ و الوهم بأناسه وأفكاره » ،[20] ومردّ هذا الشعور إلى عدم تكيّف الشخصية المغتربة عن المجتمع ، الذي اعتقدت أنه يقودها إلى الموت رغم أنوفها ، وهو ما يعبر عنه البطل أعمر نعمر،«لقد عانيت من كل تقاليد وعادات وطقوس قريتنا ، فكنت أشعر أنني مسجون في شباكها لكنني ،لم أكن أعيرها اهتماما وكنت أستهزئ بها وبمن يتشبث بها . » [21] ولم يكن رفض البطل للقيم الدينية (كصوم رمضان) مرتبطا بقريته ، بل تمردا عليها حتى في بلاد المهجر ،« غير أننا ضربنا

عرض الحائط كل المبادئ الدينية ،فكنا لا نصوم رمضان ونشرب الخمر حتى الثمالة ونأكل لحم الخنزير . » [22]

وفي ضوء هذه الرؤية المضطربة للحياة والإنسان، و الزمن فقدت شخصية البطل الأمل بالحياة ، و بالآخرين في ظل المجتمع القائم ، ولم تبدأ أية مقاومة لعوامل السلب فيه ، بدلا من الزيف الاجتماعي الذي يغلف حياة المجتمع ، وعاداته وتقاليده . وتولد عن هذه السلبية في ذهنها رؤية الآخرين مجرد أشباح ، وأمساخ قادتها إلى الاستسلام لفكرة اليأس من الحياة. « وينتج عن حالة الاغتراب نتائج سلوكية فعلية منها : الانسحاب من المجتمع ، أو الرضوخ له ظاهريا ، و النفور منه ضمنيا ، أو التمرد والثورة عليه» .[23]

ولقد جاءت شخصية البطل ،غنية مغرية بالاكتشاف والتحليل، تعكس الجوانب الاغترابية في تكوينه وفق نوع الظاهرة الاغترابية التي رسمت شخصيته ، ورصدت الرواية علاقة البطل بالمجتمع ،و ما ظهر فيه من خلل وتفكك ، حيث كشفت أن هذا الانفصال نتج عن ضغط الواقع السياسي المتمثل بالوجود الاستعماري في الجزائر ، وتعرض الإنسان الجزائري إلى القهر، و الاضطهاد و الحرمان ،من خلال حديثه عن المراتب والمناصب التي يحتلها المعمرون في الجزائر « ... يشتغلون أرقى مناصب وأفضلها بل جميعها...[24] » ،وذلك ما يشيع الخلل في الكيان الاجتماعي ، الأمر الذي أدى إلى إحساس الإنسان بفرديته ، وبحثه عن حلول فردية سريعة للتخفيف من حده ذلك الضغط ، وخاصة مع تفاقم مشكلة الفقر المادي والفقر الروحي المتمثلين في فقدان الإنسان ثقته بالآخرين ، وبكل شيء حوله. « و بالتالي لا يتركون لنا شيئا في بلادنا فنضطر إلى الرحيل ... » .[25]

كما أن مجمل العلاقات بين الإنسان والآخرين تتشكل من خلال مجموعة من القيم النابعة من سوية النفس البشرية وسلامة توجهها الفعلي وانطلاقتها في خضم الحياة ، ضمن معطيات وظروف طبيعية ، إلا أن حدوث أي خلل في ارتباط الشخص بأية قيمة إيجابية يخلق هنالك نوعاً من الانفصال بين هذا الشخص وما طبع عليه أصلاً من جهة، وانفصاله عن الآخرين من جهة أخرى،« فالاغتراب يقع داخل الشخصية الفردية، وذلك على الرغم من أن عوامل اجتماعية يمكن أن تسببه » .[26]

لقد أسهمت ظروف الواقع الاجتماعي في فقدان القيّم الاجتماعية، « الأمر الذي يؤدي إلى اغتراب الشخصية عن محيطها ،وشعورها بالضياع، ومن ثم قبولها بما لم تكن تقبله في أحوال غير تلك التي تعيشها الشخصية في الواقع [27] ». ومثل هذا الانفصال عن الطبيعة السوية ،و الانفصال عن القيم الاجتماعية السائدة له ما يبرره لدى شخصية البطل (أعمر نعمر)، الذي عرف الضياع و الحرمان وقسوة وشقاوة الحياة الاجتماعية ، وعانى في طفولته من مضايقة أفراد قريته الذين كانوا يظلمونه ويعتدون عليه،« وفي وقت مضى كنت أشعر بالكراهية تجاه جميع الناس ، وكان ذلك حينما كنت صبيا واستمر طويلا » [28].

فاغتراب الإنسان عن قيمه الإنسانية و الاجتماعية في مثل هذه الحالات يعود إلى عوامل اجتماعية واقتصادية ،و إما أن يكون هذا الاغتراب وفق عوامل وظروف معينة ، فهو يتعلق أساسا بطرح فكري لا ينقل واقعا بقدر ما يعالجه فنيا .« وقد يلجأ الفرد المغترب اجتماعياً إلى الخروج على نواميس السائد الاجتماعي من خلال مناهضة تلك النواميس أو مغادرتها ومحاولة إسقاطها، خضوعاً لرؤيتين :إحداهما سلبية والأخرى ثورية إيجابية هدفها تغيير القانون الاجتماعي » [29] .

فالبطل يمثل صورة الإشكالي الذي عانى معاناة الأنبياء في وطنهم ، فرغب في التغيير والتنوير لكنه لم يجد لرغبته أذنا صاغية، أو قلبا مفتوحا ، ولذلك لجأ إلى تكوين الجزر الثقافية المعزولة التي تحاول إنارة ما حولها ، ولكنها غالبا ما تنتهي إلى التشتت و التمزق والضياع .بسبب قمع المجتمع المعادي لرؤيته الفكرية .

3 –اغتراب البطل عن الوطن :

لقد أحس البطل أعمر نعمر بفقدان ارتباطه بوطنه الجزائر ،لأنه لم ير أية جدوى يمكن أن يحققها الاتصال به ، فهو بلد يرعاه الجهل و إرث التخلف ، فانفصل عنه حتى يطهر نفسه من آثار الحياة الاجتماعية و السياسية ، وما علق بها من شوائب حجّرت فكره ، وكبّلت إرادته، وأعاقت حركته ، وحولته إلى إنسان ممزق لا يستطيع أن يقيم في ظل هذه الحالة إلا وطنا ممزقا ، وخلق اليأس في نفسه من الوطن العجز عن إقامة علاقات وشيجة ،ذات معان ومعايير إيجابية ، بعد أن فقد الاتجاه الصحيح لحركته الفكرية ، ولسلوكه الوطني ، بفعل التصدع الذي يعاني آلامه في نفسه ، وقد أسلمه هذا التصدع إلى الشلل المرحلي بدلا من التفاعل بقضايا الوطن .« كنت أتمنى ألاّ أكون قبائليا ،لأنه كان أمامي مجال للاختيار ، فكان لابدّ على شخص آخر أن يختار مكاني ولكنه لم يفعل .أنا حقا ساخط على من أراد لي ما أنا عليه الآن ، لكن ما باليد حيلة ... » [30] .

ويصل الأمر بالبطل في السخط إلى درجة التجرد من هويته وانتمائه ، ولو كان هنالك مجال لاختيار الهوية– كما يعتقد– ما كان ليختار أن يكون قبائليا ، « ودون أية مبالغة ، لو خيّرت منذ البداية لما رضيت أن أكون من القبائل ، و لا أدري كيف صرت كذلك [31] » . واعتبر البطل أن المكان الذي تربى فيه مكان ملعون ،« ولو لم أكن تربيت في هذا المكان

المغضوب عليه » [32]. فهو تمنى لو كان ميلاده في أرض فرنسا، « ولو أني ولدت في فرنسا وعشت حياتي هناك مهما يكن مستواها ، لما وجدت ما أعيبه على أحد في سن الخامسة و العشرين و لكنت رجلا يعيش وسط ملايين الرجال سعيدا أو مسكيناً...أنا غير راض على أمي لأنها جعلت مني مواطنا قبائليا ...بينما كان في مقدورها أن تأخذني إلى فرنسا لأتربى هناك [33] ».وهذا يوحي أن رؤية البطل لنفسه و للآخرين بيّنت انفصاله عن فكرة الاتصال بالوطن بشكل أو بآخر.

وفي ضوء شعور البطل باليأس ، وبخيبة الأمل في تحقيق التلاحم بالوطن ، قاده هذا الشعور المخفق إلى ضرورة اتخاذ قرار الرحيل عن الوطن،«سوف أرحل عن هذه الجبال التي تحول بيني و بين الأفق إلى الأبد » [34] . فالبطل لم يجد في نفسه مسوغات مقنعة تحبب إليه البقاء ، ويستطيع معها أن يحقق بعضا من أحلامه ورغباته أو أن يعيش الحياة بحقائقها ،« إنه لا دين لي ولا مبادئ و لا أملاك . فماذا علي أن أفعل ...وماذا علي ألا أفعل ؟ على أي حال لن أبقى هنا لأنني لم أعد أحتمل أي شيء في هذه البلاد » [35].

وهكذا فالبطل يكتسب علاقته من خلال التعامل مع الآخرين، و التعامل مع الكون الذي يحيط به، فهو مقياس لمدى شعور الإنسان بالاستقرار، أو مدى شعوره بالأزمة ، فشعور الإنسان بالاستقرار في علاقة الفرد بالأفراد الآخرين، وفي علاقة الجماعة الإنسانية بالكون، وهذا الشعور يعطينا بطلا محدود النطاق محدود المشكلات .إن البطل يعوض النقص الذي يحصل للفرد. « في ظل مثل هذه الأوضاع ، قد تشكل الهجرة أفضل الحلول الممكنة ، وهذا ما نلحظه عند الكثيرين من المواطنين في البلدان العربية وبخاصة من قبل الشبان و الشابات ».[36]

فالمغترب ينسحب بوسائل أخرى بحسب الظروف وطبيعة المجتمع أو الأنظمة أو المؤسسات التي ينتمي اليها ، معلنا بانسحابه وضع حد لتلك العلاقات التي تحيله إلى كائن عاجز .إنه بهذا يعلن انفصاله وربما نفيه الذاتي .

وخلاصة القول: لقد حاول الروائي مولود فرعون من خلال شخصية بطل روايته الدروب الشاقة ، أن يكشف عن جوانب الاغتراب الذي عاشه الفرد الجزائري في بلاد القبائل خلال فترة الوجود الاستعماري الفرنسي في بلادنا، وبالأخص في أحلك فترة من فترات التاريخ الجزائري الحديث وهي فترة الثورة التحريرية، حيث عاش الفرد الجزائري الاغتراب بمختلف أنواعه.

الهوامش :

[1] مولود فرعون : الدروب الشاقة ،ترجمة ، حسين بن يحي ،دار صالح ، تلا نتيقيت ، للنشر و التوزيع ، بجاية ، الجزائر سنة 2005 ص 132

[2] المصدر نفسه ،ص 178

[3] المصدر نفسه ص 185\186

[4] المصدر نفسه ص ،252

[5] المصدر نفسه، ص 261

[6] المصدر نفسه ، ص 261

[7] المصدر نفسه ص 148

[8] نجوى الرياحي القسمطيني : الأبطال وملحمة الانهيار ، دراسة في روايات عبد الرحمان منيف ،مركز النشر الجامعي تونس سنة 1999 ص 158

[9] مولود فرعون : الدروب الشاقة ، ص 149

[10] وطفة علي :المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية ، مجلة عالم الفكر ،المجلس الوطني للفنون و الثقافة و الأدب ، الكويت ،مج 27 العدد الثاني ،أكتوبر \ديسمبر سنة 1998 ص 242

[11] حسن محمد حسن حماد : الاغتراب عند إيرك فروم – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع

الطبعة الأولى سنة 1995 بيروت لبنان ص 68 .

[12] حسن عليان : البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى 1973 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، مطبعة الجامعة الأردنية ط1\عمان سنة 2001ص 103

[13] مولود فرعون : الدروب الشاقة ص 141

[14] المصدر نفسه ، ص 142

[15] المصدر نفسه، ص 142

[16] المصدر نفسه ص 142

[17] حليم بركات : الاغتراب في الثقافة العربية ،متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع مركز الدراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى بيروت 2006 ص 81

[18] مولود فرعون ، الدروب الشاقة ص 185

[19] المصدر نفسه ص156

[20] حسن عليان : البطل في الرواية العربية في بلاد الشام ص 107

[21] مولود فرعون : الدروب الشاقة ، ص 144

[22] المصدر نفسه ، ص 144

[23] خليفة سحبان : فكرة الاغتراب في الفكر العربي مجلة (أفكار) عدد 24 الأردن أيلول 1974ص45

[24] مولود فرعون الدروب الشاقة ص251

[25] المصدر نفسه ، ص251

[26] فينسكوف ، والتر : الاغتراب الوجودي ، ترجمة كامل يوسف حسن ، الآداب ، السنة 29 ع 3 و ع 4 سمة 1981ص 23

[27] حسن عليان : البطل في الرواية العربية في بلاد الشام ص 124

[28] مولود فرعون : الدروب الشاقة ،ص 132

[29] العبد الله، يحيى، الاغتراب :دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، عمان، دار الفارابي، 2005 ص80

[30] مولود فرعون ، الدروب الشاقة ، ص 184

[31] المصدر نفسه ، ،ص 183

[32] المصدر نفسه ، ص 184

[33] المصدر نفسه ، ص 183

[34] المصدر نفسه ، ص242

[35] المصدر نفسه ،ص 243

[36] حليم بركات ،: الاغتراب في الثقافة العربية ص81

قائمة المصادر و المراجع :

المصادر :

مولود فرعون : الدروب الشاقة ،ترجمة ، حسين بن يحي ،دار صالح ، تلا نتيقيت ، للنشر و التوزيع ، بجاية ، الجزائر سنة 2005

المراجع :

نجوى الرياحي القسمطيني : الأبطال وملحمة الانهيار ، دراسة في روايات عبد الرحمان منيف ،مركز النشر الجامعي تونس سنة 1999 ص

وطفة علي :المظاهر الاغترابية في الشخصية العربية ، مجلة عالم الفكر ،المجلس الوطني للفنون و الثقافة و الأدب ، الكويت ،مج 27 العدد الثاني ،أكتوبر /ديسمبر سنة 1998

حسن محمد حسن حماد : الاغتراب عند إيرك فروم – المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع الطبعة الأولى سنة 1995 بيروت لبنان

حسن عليان : البطل في الرواية العربية في بلاد الشام منذ الحرب العالمية الأولى حتى 1973 ، المؤسسة العربية للدراسات و النشر ، مطبعة الجامعة الأردنية ط1عمان سنة 2001 .

حليم بركات : الاغتراب في الثقافة العربية ،متاهات الإنسان بين الحلم و الواقع مركز الدراسات الوحدة العربية ، الطبعة الأولى بيروت 2006 .

العبد الله، يحيى، الاغتراب :دراسة تحليلية لشخصيات الطاهر بن جلون الروائية، عمان، دار الفارابي،2005

المراجع المترجمة :

فينسكوف ، والتر : الاغتراب الوجودي ، ترجمة كامل يوسف حسن ، الآداب ، السنة 29 ع 3 و ع 4 سمة 1981 .

المجلات :

خليفة سحبان : فكرة الاغتراب في الفكر العربي مجلة (أفكار) عدد 24 الأردن أيلول 1974 .